شريك العمر كيف تخططين بوعي للإقتران به

إعداد

عبد الله بن محمد المديفر

مصدر هذه المادة:







بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

أشكر المولى سبحانه على ما وفق لإنجاز هذه الدراسة وأعان عليها، وشرح الصدر لنشرها، فهو أهل للحمد والشكر.

ثم أزجي شكري إلى كل من أسهم في إثراء هذه الدراسة حتى ظهرت بصورتها الحالية، وأخص بالشكر فضيلة الأستاذ الدكتور علي بن إبراهيم الزهراني، وفضيلة الشيخ محمد بن عبد الله الدرويش، وأخي عبد الرحمن، وابن أخي: عبد الله بن عبد العزيز، والأخ عبد الحميد بن محمد العرفج.

اسأل الله تعالى أن يجزي الجميع رجالاً ونساءًا خير الجزاء، وأن يتقبل ما أسهموا به في موازين حسناتهم، وأن ينفع بهذه الدراسة كل من تقرأها.

ألا وإن الجهد المبذول فيها إنما هو جهد بشر، محتمل للخلل، وقابل للنقد، وإبداء الرأي وبعث الملحوظات، فأرجو ممن يقرأها أن لا يبخل علي من ذلك بشيء، فرحم الله من أهدى إلى عيوبي.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عبد الله بن محمد المديفر

مقدمة

الحمد لله المعطي الوهاب، خلق لآدم من ضلعه حواء، وأنزلهما إلى دار المعبر والفناء، والصلاة والسلام على نبينا محمد، حث أمته على النكاح وتكثير الأولاد، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد:

أيتها الأخت الكريمة: هذه الدراسة يد حنونة، أحبت أن تكون صديقة وفية صادقة مخلصة لك، تأخذ بيدك في بهجة وحب إلى المستقبل، على بساط من الفضيلة، وقوده بعض إحصاءات عددية، وأحوال حقيقية من الحاضر والماضي القريب لتقعد بك، هذه اليد على كثبان المستقبل الإيجابية وشرفاته العلية؛ وتنظر معك من خلالها إلى فتى أحلامك القادم خلال هذه السنوات، جعلها الله سنوات بهية، وألبسها لباس السعادة الأبدية.

ترى ما دينه وأخلاقه وعقله؟ ما علمه وثقافته وشخصيته؟ ما سنه؟ ما حبه وعطفه وحنانه؟ ما فكاهته ودعابته؟ ما جماله وتأنقه؟ وما ماله؟ ما جاهه؟ وما وظيفته ومركزه الاجتماعي؟ ما طوله وعرضه؟ ما منزله ومركبه؟ ما أسرته؟ ما بلده؟

فهيا انطلقي معها وفتشي عن شريك عمرك بنظر العاقلة البصيرة التي لم تلهها الأماني أو أحلام اليقظة ولم تجعل عاطفتها تغلب عقلها، بل جعلت دينها وعقلها يسيران عاطفتها، ويقودانها بقياد الحكمة، ويكبحانها بزمام البصيرة.

اختيار الزوج والرضا به حق مشروع للمرأة:

إن حق المرأة في "الزوج إكمال لوظيفتها الفطرية وأداء لدورها في الحياة والمجتمع، وحقها في اختيار الزوج والرضا به عامل مهم في نجاح الحياة الزوجية [١] وقد أعطى الإسلام المرأة هذا الحق، روى ابن عباس رضي الله عنه: أن جارية بكر أتت النبي ﷺ فذكرت أن أباها زوجها وهي كارهة فخيرها النبي ﷺ [٢]. **وقال** ابن قدامة: "لا نعلم خلافًا في استحباب استئذانها، فإن النبي ﷺ قد أمر به، ونهى عن النكاح بدونه[٣].اهـ

فللمرأة أن تختار من بين من يتقدم إليها، الإنسان الذي ترتضي أخلاقه ودينه، وتشعر أنه يلبي حاجاتها، ويشبع عاطفتها، وأحاسيسها ومشاعرها سواء في ظاهره أو باطنه.

وإن موضوع الزواج واسع، ومسائله متشعبة، لكن هذه الدراسة تعالج جزئية ترتبط ارتباطًا وثيقًا ومباشرًا بالفتاة نفسها، ولها أكبر الأثر في مستقبلها، وهي قضية الاختيار أو الموافقة على الراغب في نكاحها أو رفضه؛ لذلك لا تناقش هذه الدراسة العقبات التي تحول دون زواج البنات، ويكون السبب الرئيس فيها هم

---

(١) محمد يعقوب الدهلوي، حقوق المرأة الزوجية والتنازل عنها (ط١ الرياض، دار الفضيلة) (١٤٢٢ هـ) (١٣٩).

(٢) رواه أبو داود (٢٠٩٦) وابن ماجه (١٨٧٥) وصححه الألباني صحيح سنن ابن ماجه بيروت المكتب الإسلامي (١٤٠٧ هـ) (٣١٥/١) (١٥٢٠).

(٣) عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المغني، تحقيق: عبد الله التركي، وعبد الفتاح الحلو ط٢ القاهرة، دار هجر (١٤١٣ هـ) (٤٠٥/٩).

الأولياء، أو الأمهات، أو عجز كثير من الشباب عـــن تكـــاليف الزواج، أو أعراف المجتمع وعاداته، أو ما جلبته المدنية الحديثـــة، أو غير ذلك من إفرازات العصر.

بل إنها تتناول ما يتعلق بالفتاة الراغبة في السكن والاســـتقرار والعفاف وبناء الأسرة، فارتباطها بالحياة الزوجية بالدرجـــة الأولى حياتها وحدها [1] هي التي تذوق حلاوتها، وهـــي الـــتي تكتـــوي بنارها، فلا تنتظري من المجتمع أن يضع الحلول لغـــلاء المهـــور، أو التقليل من ظاهرة بطالة الشباب ورفع قدراتهم المالية أو غير ذلك، بل انطلقي من تلقاء نفسك، ضعي لها الحلـــول وكثفـــي أمامهـــا الفرص، وحاولي إقناع من يقف أمامها، إن مشكلتك ومشكلات بنات جنسك ينبغي أن تنبري أنت وهن لها، فالعلاج والأهـــداف والخطط إن علقتها بغيرك لم تصلح حالك كثيرًا، وإن انبريت لهـــا وجعلت الحلول تنطلق منك وحدك وتنتهي إليك وحدك كانـــت حلولاً ناجعة إلى أبعد الحدود إن شاء الله.

صفات شريك العمر حسب ما تراه الفتيات:

تتطلب الفتاة في شريك عمرها صفات وشروطًا تهدف مـــن توافرها فيه إلى تحقيق أمور متعددة أهمها ما يلي:

---

(1) في مسح لآراء عينة مكونة من (٣١٠) فتيات، بشأن الجهة المسئول عن اختيار الزوج للفاة، أجابت (١٤٧) من العينة أي بنسبة (٤٧/٤) بأن الجهة المسئولة هي الفتاة، وأجابت (١٤٣) بنسبة (٤٦/١) بأنهما: الوالدان منى بنت عبد الله الغريبي، اتجاه الشابات السعوديات نحو القيم الحديثة، رسالة ماجستير الرياض، جامعة الملك سعود ١٤١٧ هـ (٢٨٦).

١- الصفات الشرعية، مثل: أن يكون مرضي الخلق والدين.

٢- الرغبات الطبيعية للفتاة، مثل الوسامة والمركز الاجتماعي، والسكن في مدينة أهلها.

٣- المصالح الشخصية لها، مثل: الدراسة في الخارج، أو السماح لها بالعمل.

٤- التوافق فيما بين الرجل والمرأة؛ حتى تسعد المرأة وتسير سفينة الزواج بأمان، وهي صفات ظنية؛ فإنه قد يتوافق الزوجان مع عدم وجود مثل هذه الشروط، مثل: السن، والتعليم والثقافة.

٥- مسايرة الأعراف والأحوال الاجتماعية، مثل: شرط القبلية.

٦- تحقيق مطلب خرافي ليس له صحة في الشرع، ويخالف العقل والفطرة، مثل التوافق البرجي (١).

وفيما يلي أغلب الشروط التي ترغبها المرأة في الرجل، استنادًا إلى استقراء لآراء مجموعة من الفتيات السعوديات، ويلحظ في بعض الشروط غرابة ومغالاة، وبعضها لا تطلبها أكثر النساء، وسيجري عرضها هنا حسب ما ذكرنها، لأن هذه الدراسة موجهة إلى الفتيات كلهن، مهما كانت ثقافاتهن وقناعاتهن، ومن المهم هنا أن يقال: ليست الشروط التي تضعها الفتاة دائمًا صحيحة، ومحققة

---

(١) شرطت إحداهن في المتقدم: أن يكون من برج العذراء؛ لأنه متوافق مع برجها، وهذا الشرط وأمثاله نادر جدًا في بلاد المسلمين ولله الحمد.

لمقاصد الزواج، لكنها شروطها، وهي تتحمل تبعاتها، فينبغي لها أن تستشير وتستخير على نحو ما سيأتي بيانه بعد عرض الشروط:

الشروط الدينية

مسلم	سني المذهب	متدين تقي صالح	من المحافظين على صلاة الجماعة وبخاصة الفجر
بار بوالديه	ملتح	مستقيم ليس له لحية	عادي التدين
يحترم المرأة ويقدرها	يحافظ على زوجته	قادر على العدل بين زوجاته	غير متشدد
غير مدخن	لا يشرب الخمر		

الشروط الأخلاقية

ذو أخلاق عالية	حميد السيرة والسلوك	محبوب من قبل الناس	طيب القلب
محترم	متفهم	واع	حنون
محب	عاطفي "رومانسي"	كريم	عاقل
صبور	هادئ	طموح	صادق ليس كذابًا
واثق من نفسه	جدي	ناضج	متعاون
شرقي الطباع	غير عصبي	ذو شخصية	متزن

		قوية	
ذو شهامة ونخوة	مرح، خفيف الظل	تفكيره راق	ديمقراطي
يحب الحرية	متسامح	صاحب ذوق	رياضي
يحمل الكثير من صفات الرجولة المفقودة في زماننا هذا	متفتح في أفكاره غير متزمت فكريًا واجتماعيًا	عصري في كل شيء، يواكب تطورات الحياة	يحب التغيير

الشروط الجغرافية

من المنطقة الفلانية	من المدينة الفلانية	يسكن مدينتي
يرضى أن يقيم معي في مدينتي أو يسعى في نقل عملي إلى مدينته	من دولتي	من الدولة العربية الفلانية
سعودي مقيم بالخارج	مسلم حامل الجنسية الأوروبية أو الأمريكية	يسكن في الخارج بضع سنوات

الشروط النسبية والحسبية

قبيلي	من قبيلة عريقة	غير قبيلي	من قبيلي نفسها
من أسرة كبيرة ومعروفة	من أسرة محترمة		

الشروط التعليمية والثقافية

ذو مؤهل عالي	جامعي	متعلم	مثقف
طموح في طلب العلم	على نفس المستوى التعليمي لها أو أعلى	ثانوي وما فوق	يتحدث الإنجليزية
يجيد فن الحوار والنقاش	له اهتمامات علمية في المجال الفلاني		

الشروط العمرية

يناسبها في العمر	بعمرها نفسه	لا يقل عمره عن كذا سنة
لا يزيد عمره عن كذا سنة	لا يكون فارق العمر بينها وبينه أكثر من كذا سنة	

الشروط المالية والوظيفية

غني جدًا جدًا	غني	ذو مستوى مادي جيد	ميسور الحال
غير بخيل	قادر أن يعيشها في نفس مستواها المادي	رجل أعمال	ذو مركز مرموق
طالب علم	طبيب	مهندس	طيار

شرعي			
ضابط	مدرس	موظف	يعمل في إحدى سفارات الدولة في الخارج

الشروط الاجتماعية

قادر على تحمل المسئولية وتقديرها	لديه استعداد لتأمين مستقبل المرأة	قادر على أن يمنح المرأة الأمان
يحترم الحياة الزوجية ويقدرها	يوفر للمرأة كل ما تتمناه أي فتاة	لا يرفض للمرأة طلبًا
قادر على توفير سكن خاص مستقل	قادر على توفير خادمة	قادر على توفير سائق
لم يسبق له الزواج	غير متزوج (زوجته متوفاة، أو مطلق، أو عزب)	لا يفكر في التعدد
ليس لديه زوجة ولا أولاد	ليس لديه زوجة ولا مانع من وجود الأطفال معه	لا تفضل أن تكون زوجة ثانية
أن يسمح لها برعاية ابنتها المتوفي والدها	لا مانع إن كان مطلقًا وعنده طفل واحد فقط	لا يهم إن كان متزوجًا
ذو مستوى اجتماعي جيد	ذو مركز	لا يقبل بزواج المسيار
لا يمانع من دراسة المرأة	جاد في تكوين أسرة	أن يكون متوفى

أو عملها		الوالدين
مستقر لا يحب الترحال	معتمد بعد الله على نفسه، لا يكون عالة على المرأة أو على أحد	أن يكون متعاونًا، ومستعدًا لمساعدة المرأة لبلوغ أعلى الدرجات
يشجع المرأة إلى إكمال دراستها العليا	يحب التسوق	يهوى السفر

الشروط الجسمية

وسيم	غير وسيم (لأنها غيورة جدًا)	مقبول الشكل	متناسق الجسم
حسن المظهر	أبيض البشرة	حنطي البشرة	صحيح الجسم
قوي البدن	غير سمين	سمين	طويل القامة
متوسط القامة	عريض المنكبين	أطول من المتوسط	لا يقل طوله عن كذا سنتيمتر
وزنه كذا كيلو جرامًا نظيف جدًا في كل شيء	ينجب	عقيم أو لا يريد إنجاب الأطفال	أنيق يعتني بمظهره ولباسه

تلك كانت أغلب الشروط التي ترغبها المرأة في الرجل، لكن استنادًا إلى نتيجة استبانة منفصلة عن الشروط الآنفة، فقد تركزت الشروط المطلوبة لدى فتيات العينة في ثلاث شروط بالدرجة الأولى

وهي: الدين، والتعليم، والوظيفة المحترمة [١] وسيتضح الموقف الصحيح للفتاة تجاه الشروط المعروضة في الجداول السابقة بعد الفقرة التالية.

ماذا تفعلين عندما يطرق خطيب الباب؟

إذا تقدم لك خطيب، فإنه يسن لك فعل ثلاث أمور: "استخارة الخالق، واستشارة المخلوق، والاستدلال بالأدلة الشرعية التي تبين ما يحبه الله ويرضاه، وما يكرهه وينهى عنه [٢].

الأمر الأول: الاستشارة والسؤال عن المتقدم:

امتدح الله المؤمنين بقوله: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨] وأمر بها نبيه ﷺ مع و فور عقله وسداد رأيه فقال سبحانه ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

قال الإمام الماوردي: "اعلم أن من الحزم لكل ذي لب ألا يبرم أمرًا ولا يمضي عزمًا إلا بمشورة ذي الرأي الناصح ومطالعة ذي العقل الراجح فإن الله تعالى أمر بالمشورة نبيه ﷺ مع ما تكفل به من إرشاده وعونه وتأييده[٣]". هـ

---

(١) الغريبي مرجع سابق (٢٨٧).

(٢) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مجموع الفتاوى جمع عبد الرحمن بن قاسم (مكتبة ابن تيمية، د.ت) (٦٨/٢٣) وقد ذكرها ابن تيمية على سبيل العموم في كل أمر مما يطلب به الخيرة فعلاً تركًا.

(٣) علي بن محمد بن حبيب الماوردي، أدب الدنيا والدين، تحقيق محمد فتحي أبو بكر ط٢ (القاهرة، الدار المصرية اللبنانية ١٤١١ هـ) ٣٥٩.

فالمرأة العاقلة لا تنفرد برأيها وتترك المشورة كما أنها لا تستشير من ليس أهلاً للاستشارة سواء كان رجلاً أو امرأة لحداثة سنه، أو قلة دينه، أو ضعف رأيه وقلة خبرته، أو عدم نصحه وأمانته، بل تستشير من هو أهل للاستشارة وهو من يجمع الصفات الآتية [١].

١- العقل والتجربة: فالتجربة خير برهان على صحة ما يشار به، وقد يكون صاحب التجربة مر بتجربة فاشلة أو ناجحة، فكلاهما يصلح للاستشارة، وخير مجرب من كل له مراس في التجربة، مع وعي وملاحظة لما يدور في المجتمع وعدم الغفلة عنه، ومن ذلك: أن يكون المستشار ذا مشاركات متعددة في قضايا الزواج، مثل : أن يكون أبًا أو أمًا لعدد من الزوجات، أو يكون للمستشار مشاركة في تزويج بعض الفتيات وحل مشكلاتهن، أو أنهن يقصدنه أو يقصدنها؛ يطلبن المشورة. ولا بد مع التجربة من عقل، فإن الجاهل يعمم التجارب، ويتأثر ببعض الأحوال الشخصية والانفعالات النفسية التي تؤدي إلى وصف جانح للتجربة التي مر بها، أو مر بها غيره.

٢- الدين والتقوى: فإن ذلك عماد كل صلاح وباب كل نجاح، ومن غلب عليه الدين فهو مأمون السريرة موفق العزيمة [٢].

٣- النصح والود: فاحذري مشورة حاسد، أو مبغض أو حقود أو عدو.

---

(١) بتصرف: المرجع نفسه (٣٦٠-٣٦٢).
(٢) نفسه (٣٦١).

٤- السلامة من الهموم والشواغل: فإن من تكالبت عليه الهموم والشواغل صرفته عن إبداء الرأي الصحيح.

٥- أن لا يكون للمستشار هوى ورغبة في الشيء المستشار فيه: فإن ذلك يفسد عليه إبداء الرأي الصحيح، فلا تستشيري في خطيب تقدمه لك امرأة تظنين أن لها ميلاً إليه ورغبة فيه.

فإذا وجدت من استكمل هذه الخصال الخمس فإنه أهل للمشورة ومعدن للرأي، فلا تعدلي عن استشارته اعتمادًا على ثقتك برأيك؛ فإن رأي غير ذي الحاجة أسلم، وهو من الصواب أقرب؛ لخلوص الفكر، وخلو الخاطر، مع عدم الهوى والانسياق وراء الشهوة [1]، وإنه قد يتقدم إليك الكبير، ومن ليس في مستواك، ومن به عيوب، فالقرار الجيد سواء رفضهم أو قبولهم يحتاج إلى استشارة.

وإن باب أمر عليك التوى فشاور لبيبًا ولا تعصه

وليس شرطًا محتمًا في المستشار أن تجتمع فيه كل هذه الأمور بحيث إذا نقصت خصلة تركتِ المشورة، وإنما القصد أن هذه أعلى أنواع المشورة وأحسنها، والمحققة لأصوب الآراء.

ولك أن تتوجهي بطلب المشورة مباشرة إن لم يكن في ذلك محذورًا، أو تطلبيها بواسطة قريب من المستشار، كزوجته وأخته.

أما السؤال عن المتقدم فمن اختصاص الرجال في الغالب،

---

(١) بتصرف: نفسه (٣٦٢).

فينبغي على الولي أن يتحرى السؤال جيدًا عن أحوالـــه، فيســـأل جيران مسكن المتقدم، وإمام المسجد والمؤذن في حيه، زملاء عمله، ورفقاء سفره واجتماعه، ويكون من آراء هؤلاء جميعهم رؤية عامة عن الشخص، ويتجنب سؤال القريبين جدًا: كأبيه، وأخيه، وأمه، وأخته؛ فإنهم قد يكتمون عيبًا ولا ينطقون حقًا؛ وإذا كان النـــاس يتفاوتون في حكمهم على الأشخاص فمن حكمة الولي أن يســـأل أسئلة محددة، يستطيع من خلالها أن يحكم عليه بنفسه؛ وليحـــاول الولي أن ينهي مسألة السؤال في غضون أسبوعين، وأن لا تزيد عن ذلك ما أمكن.

وبعض الأسر المتساهلة تجعل مع السؤال عن الشـــخص – أو بدلاً عنه– تكوين علاقات بينه وبين ابنتهم؛ للتعرف على أخلاقـــه وطباعه، فكوني أنت ذكية وارفضي هذا التعرف؛ فإن الرجـــل في هذا الموضع يتكلف أخلاقًا ليست له، ويصطنع مشاعر ليست لديه، ويملك نفسه ويسيطر على غضبه بصـــورة لا يفعلـــها في الحيـــاة الحقيقية؛ إضافة إلى أن هذا التعرف بين الذكر والأنثـــى بصـــورته الحالية يأباه ديننا وينهى عنه.

الأمر الثاني: الاستخارة:

وهي دعاء له صيغة معينة، يطلب فيه المسلم من ربه أن يختار له ما فيه الخير له في حاضره ومستقبله، وذلك بعد أن يصلي ركعتين، وقد روى صيغة هذا الدعاء جابر بن عبد الله رضـــي الله عنـــهما حيث قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها،

كالسورة من القرآن، يقول: «**إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني استخيرك بعلمك، واستقدرك بقدرتك، واسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر** يسمي حاجته، **خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري.. فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر** يسمي حاجته **شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري.. فاصرفه عني واصرفني عنه. واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به**»[1].

وبعد ذلك اعزمي على ما تنشرح نفسك إليه؛ فإنك إذا استشرت ثم استخرت كنت من التوفيق أدنى وأقرب؛ فما ندم من استشار ولا خاب من استخار.

الأمر الثالث: الاستدلال بالأدلة الشرعية:

عندما تختار الفتاة من تلك الشروط فإنها ترجو من وجودها في الزوج حقيق السعادة والنجاح والتوافق في الحياة الزوجية وتجنب التدهور والمشكلات، لكن عندما ننظر إلى الواقع: نجد أنه قد فشل زواج عدد من اللاتي حصلن على أزواج بالشروط التي يردنها: مال، وحسب، ووسامة، وغيرها، وهذا يدعو إلى التساؤل: هل هناك مقياس عام يمكن أن تقاس به الخصال المحققة للسعادة الزوجية؟

---

(1) رواه البخاري (١١٦٦، ٦٣٨٢، ٧٣٩٠).

وفي الجواب عنه يقال: ليس عيبًا أن تختار المرأة ما شاءت من الخصال والشروط الصحيحة التي ترى فيها سعادتها؟ لكن كثيرًا من الخصال والشروط مع سوء خلق الزوج، لا تستقيم الحياة بها، إنما بالدين والخلق الحسن تستقيم الحياة، حتى لو فقدت الخصال الأخرى إذا كانت المرأة قنوعة صبورة، كما أن الأصل في الدين والخلق: أنهما ينموان ويزيدان مع الإنسان، بخلاف أكثر الخصال الأخرى فإنها عرضة للنقص والزوال والتغير؛ ولذلك نوه النبي ﷺ بأهميتهما وجعلهما المقياس الصحيح، الذي يقيس به الولي والمرأة قبول الخاطب أو رده. وعليه: فلو اقتصرت الفتاة على شرطي النبي ﷺ «**الخلق والدين**» واستطاعت أن تصبر خلال عيشها مع زوجها على فقدان بعض الشروط الأخرى فلتسعدن في الدنيا والآخرة.

وفي مسألة (الاستدلال بالأدلة الشرعية) هناك أمور أخرى قد بينتها شريعتنا الغراء تساعد في حسن التعامل مع الشروط ، سيأتي بيان بعضها في مواضع متفرقة من هذه الدراسة، كما يمكن الاستزادة في هذا المجال من بعض المحاضرات والدورات المخصصة التي تعقد من حين لآخر، وبسؤال أهل العلم، والرجوع إلى بعض المراجع المتخصصة، ومنها (باب النكاح) في كتب الحديث والفقه.

تلك الأمور الثلاثة: الاستشارة والاستخارة والاستدلال بالأدلة الشرعية، مهمة في اتخاذ القرار، ويخاف على من تتركها التعب فيما أخذت بسبيله، لدخولها في الأشياء بنفسها، دون الامتثال للسنة المطهرة، التي دلت على تلك الأمور الثلاثة، وما أحكمته في ذلك؛ فسنة النبي ﷺ لا تستعمل في شيء إلا عمته البركات، ولا يخول

منها شيء إلا حصل فيه ضد ذلك، نسأل الله السلامة وحسن الاتباع.

ويضاف إلى ذلك التخطيط الواعي، الذي يدرك واقع المجتمع وأحواله، وهو المشروع فيما يلي.

التخطيط الواعي في اختيار شريك العمر:

كيف تختار المرأة من تلك الشروط المعروضة في الجداول السابقة؟ وهي يمكن لها أن تختارها كلها بعد حذف المكرر والمتعارض وما لا ترغبه؟

والإجابة عن هذا تحتاج إلى تفصيل، هو لب هذه الدراسة وثمرتها، وأساس التخطيط الواعي الذي تدعو إليه، وترى أنه يحقق مستقبلاً سعيدًا للمرأة إن شاء الله تعالى، وهو نوع من المشورة التي تقدم إلى كل فتاة.

ينبغي هذا التخطيط على حقائق مهمة ينبغي أن تستحضرها الفتاة في قلبها وعقلها باستمرار، وهذه الأمور هي:

١- إن الزواج أحد مظاهر الأرزاق التي يقسمها الله كيف يشاء، كما هو الحال في كل شئوون الحياة، والله وحده هو الذي يعطي الرزق وهو الذي يمنعه، ولو اجتمع أهل الأرض على أن يقدموا لامرأة زوجاً لم يكتبه الله لها لما استطاعوا، ولو اجتمعوا على أن يحرموها من زوج قدره الله لها فلن يجدوا إلى ذلك سبيلاً.

٢- إن الله لحكمة يريدها قد يبتلي المرأة بحرمانها من الزواج

بالشروط التي تريدها، أو يحرمها من الزواج نهائيًا ولو لم تشترط شروطًا قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

قال ابن كثير: أي نختبركم بالمصائب تارة وبالنعم تارة أخرى فننظر من يشكر ومن يكفر ومن يصبر ومن يقنط [١].

وإن بقاء المرأة بلا زواج لا يخل بأهميتها وحاجة المجتمع لها، فهناك الكثير من المهام والأنشطة الاجتماعية والإنسانية التي يمكن أن تقوم بها.

٣- كم من امرأة دميمة تزوجت بأحسن الرجال الذي تتمنى مثله كل فتاة، وكم من امرأة مطلقة بأولاد وبدونهم، وكم من كبيرة، وكم من أرملة ذات أولاد ارتبطت كل واحدة منهن بمثله، لكن هذا ليس الأغلب، بل الأغلب ارتباطهن برجال تقل فيهم الشروط التي ترغبها المرأة، أو بقاؤهن بلا زواج، و المرأة العاقلة اللبيبة إنما تبني أحكامها وتخطيطها وقرارها على الأعم الأغلب وليس على القليل النادر.

٤- لتعلم الفتاة أن كل ما يحصل لها هو قضاء وقدر، يجب عليها التسليم به وعدم تسخطه، وأن تحمد الله على كل حال، لكن عليها بذل الأسباب الممكنة لتخرج من قدر إلى قدر، كما قال عمر بن الخطاب، رضي الله عنه: «نَفر من قدر الله إلى قدر الله»[٢] وهذا

(١) إسماعيل بن كثير الدمشقي تفسير القرآن العظيم، بيروت، دار المعرفة (١٤٠٧هـ) (١٨٧/٣).

(٢) رواه البخاري (٥٧٢٩) ومسلم (٢٢١٩).

ما ستوضحه (المرحلة الرابعة) الآتي ذكرها بعد قليل[١].

٥- إن الشاب غالبًا ما يفضل الزواج بالفتاة الصغيرة، ولا يتجاوزها إلى الأكبر إلا عندما تقل الخيارات أمامه، أو تستهويه بعض الميزات في بنات العشرين، وحتى من لديه زوجة وعمره دون الخمسين لا يفضل أن يتزوج من بلغ عمرها الثلاثين سنة، بل يبحث عن الأصغر في بلده فإن لم يجد فأرض الله واسعة! هكذا يفكر كثير منهم.

٦- أن تعلم المرأة أن الزواج عبادة، ويحصل به أيضًا كثير من العبادات، شرعه الله، سبحانه، لتسكن النفس وتطمئن، ويرتاح البدن ويستقر، وتلتقي المودة والرحمة بين الزوجين، ويستمر بلقائهما النسل في بيئة سليمة، والزواج تكاليف ومسئولية؛ فليكن تفكير الفتاة إيجابيًا فليس الزواج قصة عاطفية حالمة، بل هو مشروع جاد لا بد فيه من الاستعداد لتحمل المسئولية والصبر على أدائها، واعلمي أن نسبة كبيرة من النساء كان سبب طلاقهن غياب هذا التفكير في حياتهن.

٧- البشر ليس فيهم من هو كامل، بل النقص والقصور صفة لازمة لهم، تقل عند بعضهم وتكثر لدى آخرين، فلا تنتظري رجلاً كاملاً.

٨- إن نسبة الخصوبة لدى المرأة تصل إلى القمة عند سن الخامسة والعشرين، ثم تقل تدريجيًا حتى تقف عند سن اليأس، أي:

(١) (٣٣).

أن نسبة الحمل بعد سن الخامسة والعشرين تتناقص تدريجيًا عند من يردن الإنجاب لأول مرة، وذلك نتيجة للاضطرابات الهرمونية الـــتي تحدث في سن الإنجاب المتأخر، وبذلك تزيد نسبة العقم عند المـــرأة كلما اقتربت من سن الأربعين، كما أنه كلما كبرت المرأة تكـــبر معها البويضات؛ مما يؤدي إلى زيادة نسبة الأطفال (المنغـــوليين) [١] لديها، فإنه يولد طفل (منغولي) من بين (٣٢) طفلاً للنساء الـــلاتي يلدن في سن الخامسة والأربعين، أما في سن الأربعين فيولد طفـــل من بين (١٠٩) أطفال، وفي سن الخامسة والعشرين: طفل من بين (٣٦٥) طفلاً سليمًا [٢]؛ أي أنه كلما كانت المرأة عند الإنجـــاب أصغر قلت نسبة ولادتها طفلاً منغوليًا وكلما كانت أكـــبر ازدادت نسبة ولادتها لهذا النوع.

٩- من خلال الاطلاع على بعض أحوال المجتمع وقصص كثير من العوانس، لوحظ أنه يغلب على المتقدمي لخطبة المرأة في السنين الأولى توافر كثير من الشروط التي ترغبها الفتاة فيهم، ثم مع تقدم السنين تبدأ تقل الصفات المرغوبة في المتقدمين شيئًا فشيئًا وبخاصـــة

---

(١) الطفل المنغولي: له "ملامح مميزة كالعين المنغولية، والشعر الخفيف، والرأس الضخم، والأطراف القصيرة، والقدرة العقلية المحدودة التي تصل أحيانًا إلى الضعف العقلي. مجموعة من أساتذة الطب، الموسوعة الطبية الشركة الشرقية للمطبوعات (١٩٩١) (١٣٦٧/٨).

(٢) بثينة السيد العراقي، أسرار في حياة العانسات (الرياض، دار طويق، ١٤١٧هـ (٤٩، ٥٠) نقلاً عن الدكتورة فتحية إبراهيم الجامع المختصة في أمراض النساء والولادة.

عندما تبلغ المرأة سن الخامسة والعشرين، ثم يبدو علـــى المتقـــدمين بعض العيوب في نظر المرأة، مثل: أن يكون لديه زوجة أو أكثر، أو يكون لديه أولاد، أو به عاهة أو مرض، أو أنه كبير، ونحو ذلـــك، حتى تصل إلى وقت كبير تنتظر فيه أن يتقدم أحد لخطبتها فلا تجد وإذا بهم قد انصرفوا جميعًا وزهدوا فيها كلهم، سليمهم ومعيبـــهم، فإذا كانت المرأة ترغب أن يكون في زوجها بعض الصفات المحببـــة إلى نفسها في حدود المعقول، فليكن زواجها في سن مبكر قبل سن المرحلة الجامعية. وتذكري عندما يأتي (خطيب) هذا الهرم:

لاحظي أن قاعدة الهرم من الأسفل عريضة ثم تضيق فتضيق إلى أن تنتهي بالرأس، أي: أنه يضيق كلما اتجهنا إلى الأعلى، حيـــث يصل إلى نهايته فلا خطيب هناك، وفيما يلي بيان الرموز المستخدمة في الهرم الآتي.

خطيب فيه أكثر الصفات المرغوبة لدى الفتاة ويرمز له في الهرم بـــ (١).

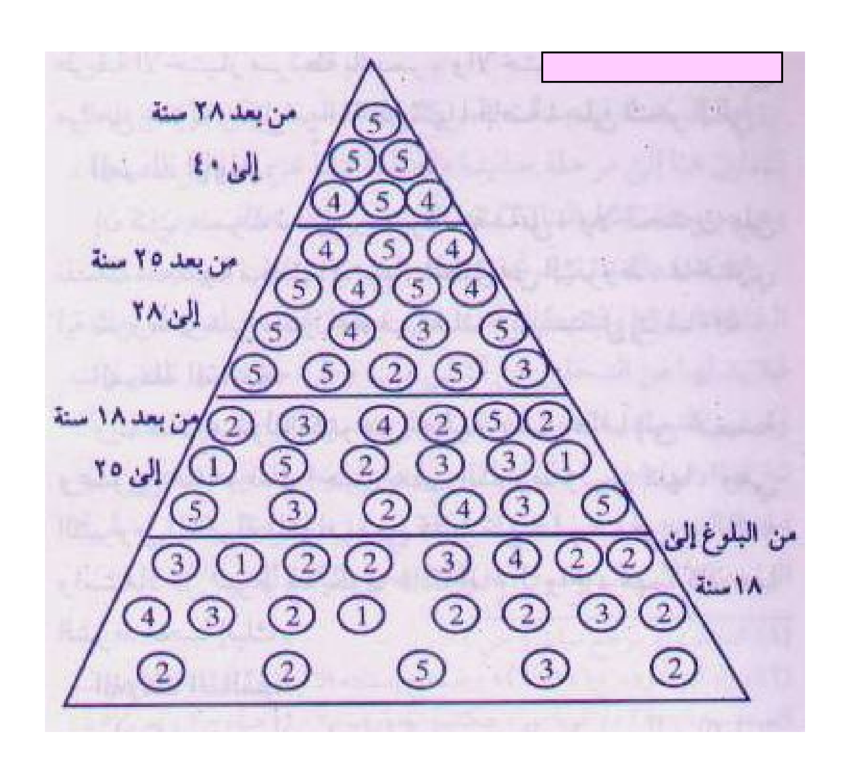
خطيب فيه بعض الصفات المرغوبة لدى الفتاة ويرمـــز لـــه في الهرم بـــ (٢).

خطيب ليس فيه صفات مرغوبة لدى الفتاة، لكنه ليس لديـــه زوجة ويرمز له ب(٣).

خطيب فيه بعض الصفات المرغوبة لدى الفتاة، لكنه متـــزوج

ويرمز له بــ(٤).

خطيب ليس فيه صفات مرغوبة لدى الفتاة ومتــزوج أيضًــا ويرمز له بــ (٥).



لاحظي أن الرمزين (١) و(٤) يوجدان في قاعدة الهرم ويبدآن بالزوال بعد منتصف الهرم أي عند بلوغ ٢٥ سنة.

بعد هذا نرجع إلى السؤال: هل يمكن للفتاة أن تختــار كــل الصفات الحسنة التي ترغبها في فتى أحلامها؟

والإجابة عنه: أخبريني كم عمرك؟ أخــبرك بالإجابــة؛ إذ إن

طريقة الاختيار مرتبطة بالعمر، والاختيار مقسم على أربع مراحل عمرية، لكل مرحلة طريقتها الخاصة على النحو التالي.

المرحلة الأولى:

إن كان عمرك ثماني عشرة سنة فأقل، ولا تخشين على نفسك المعصية، فلك الاختيار المطلق من الشروط، فاختاري أية شروط تريدين، دون خوف عليك من المستقبل إن شاء الله.

المرحلة الثانية:

وإن كان عمرك أكثر من ثمانية عشر عامًا إلى خمسة وعشرين عامًا، فلك اختيار بعض الشروط وليس كلها، وهي الشروط المعقولة المتوافرة في كثير من الشباب في زمانك، واستبعاد كل شرط قد يكون عائقًا أمام الزواج، مهما كان هذا الشرط محببًا إليك.

المرحلة الثالثة:

وإن كان عمرك ما بين الخامسة والعشرين إلى الثامنة والعشرين، فلك أمران معًا، الأول: الاختيار من شرط واحد إلى ثلاث شروط على الأكثر، والثاني: الرضا، ببعض العيوب التي لا تتطلب تقديم تنازلات منك من حقوقك، وتلك العيوب مثل: كونه أقل منك تعليمًا، أو أقل منك اجتماعيًا أو أن لديه زوجة ونحو ذلك.

المرحلة الرابعة:

أما إن كنت قد بدأت بسن الثامنة والعشرين فـأكثر فإنـك تنتقلين هنا إلى مرحلة جديدة مختلفة كليا عن المراحل السابقة وهي مرحلة تقديم التنازلات، كما هي موضحة فيما يلي:

إذا كانت الفتاة تريد تحقيق مصالح من تزوجها، ودرء مفاسد البقاء بلا زواج وقد يطول أمده حتى تسقط كليًا من أعين الرجال فلا بد لها من التخلي عن أكثر الشروط، مع تقديم التنازلات وتوفير التسهيلات؛ فذلك أدعى لقبول الرجل بها، كما أن تنازلها، عـن بعض حقوقها تيسيرًا على زوجها، يبعث على سير الحياة الزوجية، سيرًا سهلاً هينًا، يجعل الخير والبركة في الحياة الزوجيـة [١] قـال رسول الله ﷺ: «**خير النكاح أيسره**»[٢].

شروط صحة تنازل الزوجة عن حقوقها:

وقد أباحت الشريعة الإسلامية للمرأة أن تتنازل عـن بعـض حقوقها التي قد لا تكون بحاجة ماسة إليها، وتكون المطالبـة بهـا حجر عثرة في طريق زواجها، فسهلت الشـريعة بـذلك طريـق الزواج، كما وضع الفقهاء، شروطًا لصحة التنازل هي كالتالي [٣]:

الشرط الأول: أن تكون الزوجة أهلاً للتنازل [٤] فلا يصـح تنازل الصغيرة غير البالغة ولا غير الرشيدة.

(١) الدهلوي، مرجع سابق (١٣).
(٢) رواه أبو داود (٢١١٧) وصحح إسناده الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة ط١ (الرياض، مكتبة المعارف ١٤٠٧ هـ) (٤/٤٥٧، ٤٥٨) (١٨٤٢).
(٣) الدهلوي: مرجع سابق (٧/١٠٢-١٠٤).
(٤) الأهلية: صفة يقدرها الشارع في الشخص تجعله محلاً صالحًا لخطاب تشريعي.

الشرط الثاني: أن لا تكون الزوجة محجورًا عليها لسفه أو دين.

الشرط الثالث: أن تكون ذات إرادة، فيصدر التنازل منها بكامل رغبتها، ومن غير إكراه لها، فلا يصح التنازل من الزوجة المكرهة.

الشرط الرابع: أن لا تكون الزوجة مريضة مرض الموت، إن أرادت التنازل عن حقها المالي، فلو تنازلت عن صداقها لزوجها وهي في هذه الحال لم يصح.

الشرط الخامس: أن تكون مالكة لما تتنازل عنه، فلا يصح تصرفها بالإسقاط ونحوه لحق لم يثبت لها أصلا كتنازلها عن المهر أو النفقة قبل العقد.

بعض الضوابط في التنازل:

ليس المقصود من التنازلات هنا أن تلقي المرأة بنفسها إلى أول خاطب من غير تدبر أحواله؛ فتهرب من مشكلة العنوسة أو الخوف منها إلى مشكلة الطلاق أو سوء العشرة، أو تلقي بنفسها إلى مأساة! بل كما قيل: عليها أن تفتح عينيها الاثنتين قبل الموافقة، وتغلق واحدة بعد الزواج، فلا بد من السؤال عن المتقدم ومعرفة أحواله وأخلاقه، وأن يكون لدى المرأة استعداد لتحمل ما يترتب على هذه التنازلات من نتائج والصبر عليها، كما أن هناك شرطًا لا يجوز للمرأة التنازل عنه بحال من الأحوال: وهو أن يكون مسلمًا من أهل السنة والجماعة، ويقتضي هذا أن يكون مؤديًا للصلوات

الخمس، أما بقية الشروط فإنها أمور اعتبارية بين الأشخاص، وليست أمورًا شرعية محتمة، فللمرأة ووليها المطالبة بها أو التنازل عنها، حسبما يرونه من مصلحتهم، كما أن هناك من العيوب ما لا يحسن التغاضي عنه بأي حال، مثل: أن يكون مدمن مخدرات، أو يكون مشتهرًا بسوء الخلق وخشونة العشرة فالقبول بمثل هؤلاء لا يحل مشكلة المرأة بل يزيدها.

في التنازل أجر وثواب:

تنازل المرأة عن بعض حقوقها، كثيرًا ما يكون مندوبًا إليه، أي: أنها تثاب وتؤجر عليه عند الله، وبخاصة إذا كان التنازل من أجل تحصيل منفعة شرعية، مثل: رغبة المرأة في عفة نفسها وقد انصرف الخطاب عنها، ورغبتها في تحصيل الولد، وتيسيرها على معسر أو معوز من الشباب الذين لا يستطيعون تكاليف النكاح، وأحيانًا يكون التنازل واجبًا عليها، وذلك إذا خشيت الوقوع في الحرام و لم تجد طريقًا إلى الزواج إلا بالتنازل عن بعض الحقوق، فما لا يدرك الواجب إلا به فهو واجب.

اختاري زوجك:

إن اختيار المرأة الزوج المناسب لها حق من حقوقها المشروعة، ويكون أحيانًا بعرض نفسها عليه، وهو أمر مشروع لا عيب فيه، لكنه خطير في هذه الأيام؛ نظرًا لتفنن الفساق في خداع المرأة بالزواج، ومكرهم بالضغط عليها ببعض الأساليب إلى أن تقع معهم في الرذيلة مع ثقتها فيهم، فالأسلم أن تعرض نفسها على إحدى

قريبات الرجل، أو أن يتولى العرض وليها، وقد يكـون العـرض مباشرة على الشخص المراد، كما فعل عمر بن الخطاب رضـي الله عنه والتابعي سعيد بن المسيب رحمه الله وغيرهما، أو يكون بوسيلة مناسبة، مثل عرض الموضوع على بعض جمعيات مساعدة الشباب على الزواج، أو بعض الأخيار من الدعاة، والقضاة وأئمة المساجد.

أمثلة لفن التنازل:

فيما يأتي بعض المرغبات والتسهيلات، وبعضها صـالحة لأن تدرجها المرأة في شروطها في المراحل الأولى لها قبل سن العشـرين وبعده، وللأسف! قليل جدًا من النساء عندنا يجدن فـن التنـازل؛ لذلك اضطررت إلى إضافة بعض المرغبات ومشورة بعض النسـاء فيها، وهي قابلة لأن تضيف المرأة إليها ما تشاء من فنون التنـازل، فيما لا يخالف أحكام الشريعة الإسلامية.

أمثلة لتقديم التنازلات وتوفير المرغبات والتسهيلات

لدي الاستعداد لرعاية أطفاله وتربيتهم	لا يهم إن كان متزوجًا	لا مانع أن أكون زوجة ثانية
لا مانع أن أكون زوجة ثالثة	لا مانع أن أكون زوجة رابعة	أرضى بزواج المسيار[1]
لا مانع من السكن مع والدته	لا مانع من السكن مع والديه	لا مانع من عدم وجود الخادمة
لا مانع من الزواج من غير قبيلتي	لا تهم النواحي المادية	مستعدة للمشاركة في تأثيث المنزل بعد الزواج
مستعدة لتأمين المنزل بعد الزواج	مستعدة لتحمل مصروفات البيت بعد الزواج	مستعدة لترك العمل أو الدراسة
نكتفي باحتفال	أقبل الزواج من فقير	أقبل الزواج من

(1) زواج المسيار: هو زواج شرعي مستوفى الشروط، يجري فيه تنازل المرأة باختيارها عن حقها في المبيت والقسمة بالدرجة الأولى، فيأتيها الزوج متى شاء، ويغيب عنها ما شاء، وقد تتنازل أيضًا عن السكنى والنفقة، ولا ينصح بهذا الزواج لكل امرأة، بل زواج المرأة بمن لديه ثلاث نساء خير لها منه والله أعلم، وإنما يصلح المسيار لمن لها ظروف خاصة رأت أن هذا النوع من الزواج يتلاءم مع حالها، وينجح مقاصدها، مثل: امرأة مريضة ترغب في البقاء في كنف أهلها؛ ليرعوها ويهتموا بها، أو امرأة انصرف عنها الخطاب وترغب في الحصول على ذرية، ولا يهمها بعد الاستقرار العاطفي والنفسي.

أسري للزواج		مريض
أقبل الزواج ممن بــه عاهة	أقبل مهرًا يسيرًا	

إن مرحلة تقديم التنازلات هي فرار من قدر إلى قدر، وسلوك لأسباب السلامة:

ترجو النجاة و لم تســلك مســالكها
إن السفينة لا تجــري علــى اليــبس

فعلى الفتاة أن تعلم أن الحياة الاجتماعية المعاصرة قد تغــيرت أحوالها، وصعبت مسالكها؛ الأمر الذي يؤكد ضرورة التنازل عن كثير من الشروط، لا سيما أنه قل إقبال الشباب علــى الــزواج؛ بسبب عوامل مختلفة.

كيفية التنازل عمليًا:

قد تقول الفتاة: أنا مقتنعة بالتنازل، لكن كيــف يحصــل في الواقع؟

فالجواب: أنه يحصل بعدد من الوسائل، أهمها ما يلي:

١- أن يكون قبولك الخاطب والرضا به على حاله، يســتلزم التنازل والبذل من قبلك، فتكون يدك هي العليا، فالقبول وحده فيه كثير من التنازل.

٢- أن الخاطب نفسه يطلب أن تتنازل المرأة عن بعض الأمور وهنا ينتظر منها القبول بذلك.

٣- أن تكلم المرأة وليها أو من يقوم مقامه، وتخبره باستعدادها للتنازل عن عدد من الأمور.

٤- أن تنشر المرأة في المجالس النسائية التي تحضرها استعدادها للتنازل، وتذكر أمثلة له، وتبين أن هذا يعد وجهة نظر لها، تتبناها بنفسها، وتنصح بها غيرها.

المستثنيات من المراحل السابقة:

لبعض الفتيات أحوال خاصة تتطلب أن لا يكن كغيرهن، مثل: الإعاقة، وقلة الجمال أو (الدمامة) والمرض، والطلاق، ومن تخشى على نفسها الوقوع في الحرام، فإنهن ونحوهن ينبغي عليهن عند تعاملهن مع المراحل الأربع المذكورة هنا أن يضفن إلى أعمارهن ونحوهن ينبغي عليهن عند تعاملهن مع المراحل الأربع المذكورة هنا أن يضفن إلى أعمارهن ست سنوات، أو ثماني، أو عشرًا فمن تبلغ من العمر (١٩) عامًا يكون حكمها هنا حكم من تبلغ (٢٦ أو ٢٩) عامًا حسب درجة ما لديهن من تلك الصفات التي تصرف الخطاب عنهن.

فوائد العمل بهذا التخطيط:

إن هذا التخطيط الواعي بمراحله الأربعة يؤكد أنه ينبغي للمرأة كلما مضت سنة من عمرها، أن تعيد النظر في شروطها، وتقوم بترتيبها من جديد، وتحذف منها، وقد يقضي الأمر أن تغير من طريقة حياتها هي في حدود الضوابط الشرعية، أو يكون لديها استعداد للتغير، بما ترى أن له أثرًا في تعزيز قبول الخاطب بها بعد

التغيير، مثل: أن تكون عاملة وتشترط: أن يوفر خادمة تقوم بالطبخ وعمل المنزل، وترى أن هذا الشرط كان سببًا في هروب الخطاب عنها، فتبحث عن طريقة تستغني بها عن الخادمة، أو تغير عملها، أو تبدي استعدادها لتركه؛ لتقوم هي بأعمال البيت ومهامه.

ومن مظاهر التغيير أيضًا: أن تحرص الفتاة على التحلي حقيقة لا ظاهرًا بالصفات المرغوبة لدى الرجال، فتكون معروفة بالدين، والتستر والعفاف، والمحافظة على الصلوات، والتحلي بحسن الخلق وطيب المعشر، وجمال الأدب، والنظافة، وإجادة أعمال المنزل، ومراعاة أصول الكلام الشرعي مع غير المحارم، وقلة الخروج إلى الأسواق، حتى إذا سألوا عنك، ذكروا لهم هذه الأمور الحسنة.

إن التزام هذه الخطة في قبول فتى أحلامك أو رجل واقعك يعطيك نظرة صحيحة للحياة، وإن كنت ممن تقدم بهن العمر فبلغت الثامنة والعشرين، وتقدم إليك رجل لا يتوافر فيه شيء من شروطك غير الدين، وقد يكون لديه زوجات، فإن قبولك به يكون فيه إكراه لنفسك على أمر لا ترغبين به، ولا تحبينه وهذا الكره الذي يحصل لديك ليس دليلا على عدم صحة قرارك، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦] وإن أردت أن تغامري وتركبي الأخطار تنتظرين فتى أحلامك، بشروطك أيام كنت قبل العشرين، وتأملي أن تكوني من القليلات المحظوظات اللائي وفقهن الله برجال تتوافر فيهم بعض شروطهن، فإني أخشى أن تكوني أحد الأرقام الجديدة في عالم العوانس البغيض

إلى كل فتاة وأهلها، وهي أرقام ليست باليسيرة، حسبما تطالعنا به الصحف بين الحين والآخر.

وإليك فيما يأتي نبذة عن هذا العالم، حماك الله منه، ولن يكون التطرق فيه إلا فيما يتعلق بالمرأة، وستهمش الأسباب الخارجة عنها، كما سيركز على ما يدعم مراحل التخطيط السابقة ويبين أهميتها.

عالم العنوسة

العانس: هي التي يطول مكثها في منزل أهلها بعد إدراكها حتى تخرج من عداد الأبكار ولم تتزوج [١] ولا تطلق العنوسة على المطلقة والأرملة، وتختلف وجهات النظر في تحديد العمر الذي تصبح المرأة فيه عانسًا؛ لأن تحديده أمر نسبي يختلف باختلاف الزمان والأعراف والمجتمعات، فالمرأة في مجتمعات سابقة إذا بلغت العشرين ولم تتزوج يمكن أن تعد عانسًا، ولا تعد في زماننا، كما أنه في الزمان الواحد تختلف من مجتمع لآخر، فالعنوسة مرتبطة بالسن الذي ينصرف فيه عنها الخطاب الأكفاء الذين ترغبهم، ويتجهون إلى من هي أصغر منها، ويحدد بعض الباحثين بداية سن العنوسة بأنه بلوغ (٢٥) سنة [٢] بينما ذكرت منظمة (الأسكوا) استنادًا إلى إحصاءات أجرتها: أن عنوسة الفتاة تبدأ في سن الثامنة

---

(١) محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب ط١ (بيروت، دار صادر، ١٤١٠ هـ) (١٤٩/٦).

(٢) عبد الرب نواب الدين آل نواب، تأخر سن الزواج (ط١) الرياض دار العاصمة (١٤١٥هـ) (١٥).

والعشرين ونصف [1].

من أسباب العنوسة الناشئة من الفتاة نفسها:

لن يتحدث الباحث عن أسباب العنوسة بشكل مفصل، فإن هذا قد بحث كثيرًا وتناولته وسائل الإعلام المختلفة، وإنما المراد التنبيه هنا إلى بعض الأسباب التي يفيد ذكرها في هذه الدراسة، والتي تكون ناشئة بشكل رئيس من الفتاة نفسها؛ لأن الأسلم للفتيات أن يفتشن عن حلول مشكلاتهن من دواخلهن مع الاستفادة من أهل العلم والدين والخبرة.

ومن الأسباب التي تجعل الفتاة عانسًا ما يلي:

١- تأجيل الزواج لأي غرض من الأغراض، كمواصلة الدراسة، أو الحصول على وظيفة، أو رعاية أم كبيرة، أو والد، أو إخوة صغار وأخوات؛ فالتأجيل بحد ذاته من أخطر الأسباب المؤدية إلى العنوسة.

٢- المبالغة في صفات شريك العمر، والاستمرار في طلب هذه الصفات على الرغم من تقدم العمر وذبول الزهرة ورفض التنازل عن بعض الشروط؛ ومن المبالغة، تشدد البنت استقلالا أو تبعًا لأهلها في المطالب المطلوبة من المتقدم من غير تمييز بين الضروري والتكميلي، وقد أدت هذه المطالب إلى هروب بعض الشباب إلى الزواج من الخارج، حيث نساء لا يشترطن شيئًا، ففي الكويت

---

(١) رجاء مكي

أقبل كثير من الشباب على الزواج من آسيويات، وبالتحديد من جنسيات: فلبينية وتايلاندية ونبيالية، وإندونيسية، وصينية، ومالديفية، وسنغافورية[1] وإلى نحو هذا الوضع اتجه كثير من الشباب في باقي دول الخليج [2].

وحتى تدرك فتيات العشرينات أن تقدم العمر يؤكد عليهن التخلي عن كثير من الشروط، إن أكثر الشباب لا يكونون مستطيعين للزواج إلا في سن مرتفع نسبيًا، بينما الفتاة تكون مستعدة للزواج منذ البلوغ، وهذا يجعل الشاب عندما يقدر على الزواج لا يقتصر اختياره على البنات من سنه أو أصغر بقليل، بل يكون مجال الاختيار أمامه واسعًا، وهذا يجعل عددًا من الفتيات يسرن في الطريق المؤدي إلى العنوسة؛ لأن الشاب في مجتمعاتنا المعاصرة معروفة عنه مهما كبر أنه في الغالب يفضل الفتاة الصغيرة؛ وقد أثبتت إحدى الدراسات [3] أن نسبة عدد النساء الصالحات للزواج مقابل عدد الرجال القادرين على الزواج هي: أربع نساء مقابل رجل واحد؛ وهذا يعطي تفسيرًا لارتفاع عدد العوانس مع أن عدد الذكور مقابل الإناث متقارب في دول الخليج، ويزداد الأمر سوءًا، إذا علم أن نحو خمس الزواجات في السعودية والدول الخليجية وبعض الدول العربية تنتهي بالطلاق حسب الإحصاءات

(١) صحيفة الشرق الأوسط، العدد ٨١٩٢ (١٤٢٢/٢/٩ هـ) الصفحة الأخيرة.

(٢) http://www.albayan.co.ae/albayan/2000/05/15/mnw/8.htm

(٣) بثينة السيد العراقي، أسرار الزواج السعيد ط٢ (الرياض، دار طريق، ١٤٢١ هـ ٢٦٥).

في السنوات الأخيرة؛ مما يجعل الفرصة ضعيفة أمام المطلقات والعوانس [١].

٣- تغليب المرأة عاطفتها على عقلها، فعاطفتها تريد الزوج بالصفات المرغوبة، وعقلها يقول لها: قد مضى بك العمر فبلغت الخامسة والعشرين فلا تطلبي صفات في زوجك غير الدين والخلق، وارضي بمن لديه امرأة، فتأبى إلا أن تتبع عاطفتها، وتكون على محك الخطر.

٤- قال رسول الله ﷺ: «**إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا. فيقول: ما صنعت شيئًا، قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه ويقول: نعم أنت**»[٢].

فالشيطان إذا كان لا يسره بقاء الروابط الزوجية والأسرية، ويبث أتباعه لتفكيكها وهدمها، فإنه لا يسره أن تبنى من أساسها، فيسعى جاهدًا أن يبقى الشباب ذكورًا وإناثًا، أعزابًا عازفين عن الزواج والتفكير فيه، أو يجعلهم يشترطون شروطًا فيمن يرغبون الزواج منه يعرف الشيطان أنها قليلة التحقيق، لأن بقاءهم بلا زواج يسهل أمامه المهمة التي انبرى لها منذ أن أخرج من الجنة في إغواء

(١) نشرت إحصاءات الطلاق صحيفة الشرق الأوسط العدد (٧٦١٠ ١٤٢٠/٦/١٩) والعدد ٨١٦١ (١٤٢٢/١/٨ هـ).
(٢) رواه مسلم في صحيحه (٢٨١٣).

ذرية أدم ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢].

حتى وإن كان الرجل أو المرأة صالحين في ذاهما، فإن الشيطان يعد بقاءهما عازبين نقطة ضعف، يمكن أن يأتي يوم من الأيام، أو لحظة من اللحظات، يستغلها وتكون بداية في طريق الغواية والندامة.

٥- عدم ثقة المرأة بالرجال، فهي تخشى من عدم حب الزوج لها، وعدم إخلاصه، وسهولة فك الرباط بينهما فهي تفضل أن تؤمن مستقبلها أولا من خلال التعليم والحصول على وظيفة ثم تفكر بالزواج[1] ويغيب عن أذهافن أن فشل الزواج في مجتمعنا ليس هو الغالب، بل الغالب والحمد لله هو نجاحه، وإنما تتلافى أسباب الفشل في الزواج بتوفيق الله، عز وجل، ثم بحسن الصفات المتوافرة في الخاطب، وإذا جاء خاطب ذو صفات حميدة فرد فإنه قد لا يأتي مثله.

أحوال العانس:

قصص العوانس كثيرة جدًا، وألفت فيها عدد من الكتب، وأكتفي هنا بذكر قصتين فقط، وبعدهما أذكر كيف أن بعض العوانس استطعن أن يتكيفن مع حالهن:

---

(1) صرح هذا عدد من الفتيات كما في صحيفة الرياض، العدد (١١٦٤٧) (١٠/صفر/١٤٢١ هـ) (١٤).

١– أم نور:

تقول: "ما إن وضعت رأسي على الوسادة؛ حتى تداعى ذاك الشريط الذي يتكرر كل ليلة: يدي في يد عريسي، ليلة الزفاف وأنا في ثوبي الأبيض الجميل، يغمر قلبي الفرح، ويفيض السرور من عيني.

لم أصح من حلمي هذا إلا على طرقات باب الحجرة. إنه ابن أخي. أخي صار عنده ولدان. أخي الذي يصغرني بسنوات تزوج وأنجب وأنا ما زلت.. آه كم كنت غبية حمقاء.

ما زلت أذكر فرحة أمي وهي تخبرني أن شابًا متدينًا تقدم إلى خطبتي كنت في المرحلة الثانوية. لم يفرحني يومها الخبر فرددت عليها بقولي: "أنا لا أفكر في هذا الموضوع يا أمي.. أريد أن أكمل تعليمي، وانصرفت عنها بغرور وعجب بنفسي.

بعد أن أنهيت مرحلتي الثانوية قال لي أبي: "يكفيك هذا لقد خطبك عمك اليوم لابنه أحمد. آن لك أن تتزوجي".

بكيت وبكيت، ورفضت الزواج، وأصررت على مواصلة الدراسة ونجحت في إصراري، ودخلت الجامعة، وحين صرت في السنة الثالثة، تقدم لخطبتي ابن جيراننا عبد الرحمن هذا المهندس الناجح في عمله، ما زلت أذكر كيف سمعت أمه وهي تخطبني إليه من أمي.. وكيف اقتحمت عليها جلستها وأنا أصرخ: لن أتزوج قبل أن أتخرج في الجامعة.

تخرجت في الجامعة، و لم يعد يخطبني أحد. أدركت أنني كنت على خطأ، بل لعل أبي كان على خطأ حين خضع لإصراري على مواصلة دراستي، لا.. بل لعلها أمي التي لم تشرح لي.. لا أدري.. لا أدري.. كل ما أعرفه الآن.. أنني أصبحت عانسًا [١].

وتقول عانس أخرى: "ليت والدي أجبراني على الزواج.. لقد ضربني والدي كثيرًا حين ترك لنا الحرية في تأجيل الزواج لمواصلة تعليمنا، وكذلك ضرتني والدتي حيث لم تحذرني من أنني قد أندم حين أكبر وأبقى دون زواج[٢].

٢- طبيبة حصلت على درجة الدكتوراة:

تقول باختصار: تجربتي تكاد تكون غريبة؛ لأني بلغت من العمر الأربعين عامًا ومن المفترض أن أ كون امرأة بمرتبة (جدة) ولكن عقليتي على الرغم من أني طبيبة وناجحة في عملي، والحمد لله إلا أنني لم أحسب حساب ما وصلت إليه اليوم من ألم في نفسي أن حرمت الأمومة، وحرمت أن أكون زوجة.

لقد كنت موفقة في دراستي، بجميع مراحلها، وكانت رغبتي للعلم جامحة قوية، وبعد أن تخرجت في الجامعة قررت أن أكمل الماجستير، وكأي فتاة في تلك السن، كان يتقدم لخطبتي الكثير، ولا سيما أني كنت أتمتع بجانب كبير من الجمال، لكني كنت أرفض بسبب التعليم، وكان والدي يقتنعان برأيي، وليتهما رفضا هذه

---

(١) محمد رشيد العويد، غير متزوجات ولكن سعيدات (٦٢، ٦٣).
(٢) المرجع السابق (٦٤).

القناعات.

وانتهيت من الدكتوراه وحصلت على الدرجة بتفوق كبير، وعدت إلى المملكة حاملة هذه الشهادة العالية، وعملت في مستشفى خاص بجدة، وهيأت نفسي أن أكون زوجة، لكن ما حدث غير ذلك، فلم أسمع أحدًا جاء يطرق بابنا يطلب الزواج مني، قلت في نفسي لربما أن سفري الطويل أنسى الناس أن في بيت فلان فتاة للزواج، فصرت أحضر المناسبات التي أُدعى إليها، ولكن لا حياة لمن تنادي، وإذا تقدم أحد للزواج مني إما أن يكون أكبر مني بسنوات كثيرًا جدًا، وفي سن والدي وربما أكبر، وربما أكون أصغر من أولاده.

وظلت الحيرة تطاردني وعزوف الرجال عن الزواج مني صار يكبر مع تقدمي في السن، والقلق يمزقني في داخلي من هذه الحالة التي أعيشها، والألم يعتصرني، وأنا أرى أمهات صغارًا أقوم على رعايتهن، حيث إن تخصصي (نساء وولادة) ويزداد بي الحنين واللوعة حين أرى الأطفال، كم أتمنى أن يكون أي طفل يقول لي كلمة (ماما) !

وأنا اليوم قد تجاوزت الأربعين من عمري، إنني اليوم مجرد امرأة فاقدة أي إحساس بالسعادة على الرغم من تفوقي ونجاحي العملي، لأني فقط لست أمًا[١].

---

(١) خالد الجريسي، كيف تزوج عانسًا (الرياض، المؤلف ١٤٢١ هـ) (٣٢٩-٣٣١).

وتجلدي للشامتين أريهـــم أني لريب الدهر لا أتضعضع

من النساء العوانس من حاولن أن يتغلبن على الآثار التي تسببها العنوسة فنجحن إلى حد ما في المقاومة[١] وحقق لـــدى بعضـــهن ثمرات طيبة، من خلال الانشغال بالعبادة وتقوية صلتها بالله تعالى، وقراءة القرآن، وذكر الله كثيرًا واللجوء إلى الدعاء والتضـــرع لله سبحانه[٢] ومن خلال الانشغال في بعض مجالات الـــدعوة إلى الله تعالى، وممارسة بعض الهوايات الترفيهية، فالعنوسة لا تعني المـــوت المعنوي للمرأة! لكن هذا لم يقطع الهواجس والخواطر اللاتي يطرقن الذهن من حين لآخر يشعرن بأن الأمر ليس طبيعيًا، ولا بـــد مـــن التفكير في تغييره، فالمرأة لا تستغني تمامًا عن الرجل؛ فهي فرع عنه خلقت منه، والفرع يحن إلى أصله.

بعض آثار العنوسة

تترك مشكلة العنوسة آثارًا متعددة في نـــواحي الحيـــاة علـــى اختلافها وتعددها، ولا تقتصر الآثار على الفتاة وحدها، بل تصيبها وتصيب أسرتها، وتصيب المجتمع بأسره [٣] .

أولا: بعض الآثار الدينية:

([١]) استنادًا إلى دراسة أشارت إليها مجلة العربي، الكويت العدد (١٠٦ (٢٦ جمادي الأولى /١٣٨٧هـ)) (٢٦).

([٢]) العويد، غير متزوجات ولكن سعيدات مرجع سابق ()١٩، ٢٠، ٦٩ نقلا عن: رسائل عوانس.

([٣]) رفعت محمد طاحون "العنوسة ظاهرة اجتماعية خطيرة في عالمنا الإسلامي" مجلة المنار العدد ١٠ شوال ١٤١٤ هـ (١١١).

تفقد العانس أداء أنواع جليلة من العبادات، لا تحصل إلا بالنكاح، وفيما يأتي أهمها:

١- النكاح من سنة المصطفى ﷺ فقد ثبت عنه أنه قال: «.. **وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[١] ورد ﷺ على (عثمان بن مظعون) التبتل[٢] وهو ترك النكاح.

وقال ابن الجوزي: «النكاح مع خوف العنت واجب ومن غير خوف العنت سنة مؤكدة عند جمهور الفقهاء، ومذهب أبي حنيفة وأحمد بن حنبل أنه حينئذ أفضل من جميع النوافل لأنه سبب في وجود الولد»[٣] وقال أيضًا: «فمن أعرض عن طلب الأولاد والتزوج فقد خالف المسنون والأفضل وحرم أجرًا جسيمًا ومن فعل ذلك فإنما يطلب الراحة»[٤].

٢- وفي النكاح تحقيق مباهاة النبي ﷺ بكثرة أمته يوم القيامة.

٣- وهو مظنة الولد الصالح الذي يدعو لأبويه بعد موتهما قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ليرفع العبد الدرجة، فيقول: رب أني لي هذه الدرجة؟ فيقول: بدعاء ولدك لك**»[٥] وورد عن عمر بن

---

(١) رواه البخاري (٥٠٦٣) مسلم (١٤٠١ هـ).

(٢) رواه البخاري (٥٠٧٤) ومسلم (١٤٠٢ هـ).

(٣) أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تلبيس إبليس، تحقيق السيد الجميلي (بيروت، دار الكتاب العربي ١٤٠٥ هـ) (٣٥٧).

(٤) المرجع نفسه (٣٦٢).

(٥) أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، السنن الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٤ هـ) (١٢٦/٧) (١٣٤٥٩).

الخطاب، رضي الله عنه، أنه قال: والله إني لأكــره نفســي علــى الجماع رجاء أن يخرج الله مني نسمة تسبح الله[١] . وقــال ابــن الجوزي: ورب جماع حدث منه ولد مثل الشافعي وأحمد بن حنبل فكان خيرًا من عبادة ألف سنة[٢] .

٤- وطاعة الزوج من أجل العبادات في حق المرأة.

٥- وللزوجين في الجماع أجر، قال رسول الله ﷺ: «**وفي بضع أحدكم صدقة**» قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «**أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجرًا**» [٣] والبضع: يطلــق على الجماع ويطلق على الفرج نفسه، وكلاهما تصح إرادته هنا[٤].

٦- وما يحصل من الأجر المترتب على تربية الأولاد والعنايــة بهم، وبخاصة البنات، والنفقة عليهم إذا كانت المرأة تنفق من مالها.

٧- والأجر العظيم المترتب على الصبر على موت الأولاد.

٨- بالزواج يسلم المرء في الغالب من مزالق الشيطان. وســبل الغواية بالوقوع في الزنا أو مقدماته.

كل هذه عبادات جليلة، يترتب عليها أجور وحسنات كــثيرة

---

(١) المرجع نفسه (١٣٤٦٠).
(٢) مرجع سابق (٣٦٢).
(٣) رواه مسلم (١٠٠٦).
(٤) يحيى بن شرف النووي شرح صحيح مسلم (ط١) بيروت المكتبة العصرية ١٤٢٢ هـ (٧٦/٧).

تخسرها المرأة إذا لم تتزوج.

وإن اتضح للمرأة أنها لا تنجب، فإنه يتحصل لها بالزواج بعض العبادات السابقة، ويتحصل لها أيضًا أجر الصبر على هذا الابتلاء، وقد يكون لدى المرأة نية صادقة فيما يتتعلق بالأولاد: بحسن تربيتهم، والصبر على موتهم، فتناول أجر هذه النية، فالنية أحيانًا تبلغ ما لا يبلغه العمل.

ثانيًا: بعض الآثار النفسية:

إن حب السكن والاستقرار، وتكوين أسرة، وإنجاب أطفال وقضاء الشهوة، أمور فطرية غريزية لدى الرجل والمرأة، ويكون تحقيقها بالزواج، وعندما يحرمان يعود عليهما ببعض المضار، ويحدث لديهما خللاً وتضطرب أمورهما ولو حاول الرجل أو المرأة إشباع شيء من تلك الغرائز بغير الزواج، لم تحصل الأمور كما ينبغي ولحدثت مشكلات ومصائب وتلك الغرائز مثلها مثل العطش فإنه غريزة لدى الإنسان، وتشبع بالماء، ولو منع الماء عن العطشان لاضطرب حاله، ولو حاول إشباع غريزة العطش بزيت أو بنزين لألحق بنفسه ضررًا ولم يشبع غريزته، ومن الشواهد الواقعية على أن الزواج أمر غريزي: أن ثلاث أخواتت (هندوسيات) أقدمن على الانتحار بتناول مبيد للحشرات؛ لعدم قدرتهن على احتمال فكرة البقاء دون أزواج وعمر الكبرى (٣٠) سنة، والوسطى (٢٥) سنة والصغرى (٢٠) سنة، وقد قال والدهن للشرطة: إنه لم يتمكن من العثور على زوج لابنته الكبرى، ورفض السماح لابنتيه الأخريين

بالزواج طالما لم تتزوج الكبرى [١] وإن كانت المسلمة لا تنتحـــر مهما كان بؤس حالها وشقاها؛ لأنها تعلم أن حياتهـــا في البـــؤس والصبر عليها خير لها ألف مرة من قذف نفســـها بيـــدها في نـــار جهنم، لكن هذه القصة سيقت هنا لتؤكد المعاني السابقة.

فمن خصائص الزواج المبكر أنه يســـاعد علـــى الاســـتقرار النفسي، والاتزان العاطفي، والإعفاف في الإطار المشروع، وهـــذه الأمور من أهم مقاصد النكاح وبخاصة في ظل عصر استشرت فيه صور الإغراء والإغواء وتعددت وسائلها ودواعيها وكثرت معوقات الزواج المبكر[٢] قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

وتترك مشكلة العنوسة "آثارًا نفسية في نفوس الفتيات، اللاتي ينظرن إلى أترابهن من الفتيات وقد تزوجت كل واحدة منهن فيعود ذلك على الفتاة العانس بآلام نفسية مبرحة [٣] وقد أكدت إحدى الدراسات الغربية أن المتزوجين أفضل في الصحة النفسية والجسمية، وأن غير المتزوجين أعلى في الشعور بالوحدة والاكتئاب والقلق [٤].

ثالثًا: بعض الآثار الصحية:

يترتب على هذه الآثار النفسية آثار صحية سيئة، فتكاد الفتاة

---

(١) العويد، غير متزوجاتت ولكن سعيدات، مرجع سابق (٣٣، ٣٤) نقلاً عن وكالة الأنباء الفرنسية في (١٤١٧/١/١٥هـ).
(٢) آل نوب، مرجع سابق (١٧).
(٣) طاحون مرجع سابق (١١١).
(٤) آل نواب مرجع سابق (٢٤٤).

العانس أن تذهب نضارتها.. وقد يتطور الأمر أكثر من ذلك، فتصاب الفتاة بآلام عضوية، نتيجة الحزن والاكتئاب [١] وقد كثرت التقارير الطبية التي تؤكد فوائد الزواج والإنجاب المبكر على صحة المرأة، وانعكاس رضاعة الأم لولدها من صدرها على صحة ثدييها وسلامتهما من الأمراض الخطيرة، كما أثبتت دراسات [٢] أجريت في جامعة (أوهايو) في الولايات المتحدة الأمريكية: أن المتزوجات اللاتي يعشن حياة مستقرة، يتمتعن بجهاز مناعة قوي، أفضل من جهاز المناعة لدى المطلقات وغير المتزوجات.

وقد نشرت صحيفة الأهرام المصرية قديمًا إحصاء جاء فيه أن الأموات من سن (٥٠-٦٠) هم: (٢٥%) (٧٥%) أعزاب [٣] بل وأكدت دراسات حديثة أجريت على بلدان أوروبا ازدياد معدل الوفيات بين غير المتزوجين، مع ارتفاع واضح في السنوات العشر الأخيرة أكثر من ذي قبل [٤] وذلك يؤكد تمامًا الخطر الصحي الذي تحدثه العنوسة للنساء والرجال على السواء.

ويضاف إلى ذلك خطر التعرض للأمراض الجنسية عند الوقوع في الحرام.

---

(١) طاحون مرجع سابق (١١١/١١٢).
(٢) محمد رشيد العويد، قالت لي جدتي الكويت دار حواء (١٤١٤ هـ) (٥٦).
(٣) منصور الرفاعي عبيد العنوسة رؤية إسلامية اجتماعية لحل مشكلة الفتاة العانس، ط١ (القاهرة، دار الفكر العربي ١٤٢٠ هـ) (٢٣) نقل عن الصحيفة في عددها الصادر في (٢٠ ذي القعدة ١٣٥٢ هـ).
(٤) http://www.bab.com.sa/articles/full_articl.cfm?id=7314

رابعًا بعض الآثار الاجتماعية:

لما كان الله تعالى غير محتاج إلى مساعدة أحد أبد الدهر لم يكن سبحانه بحاجة إلى ولد، وإنما يحتاج الإنسان الولد؛ لأنه عرضة في أحوال كثيرة للاحتياج إلى غيره والمرأة أشد حاجة من الرجل، وبخاصة عندما تكبر وتغزوها الأمراض، وعندما تكبر العانس وتمسها هذه الحاجة تتمنى حينها أن لو تزوجت برجل فيه كل عيب، وليس فيه من شروطها التي تريد أي شرط سوى الدين، من أجل أن ترزق بولد يملأ عليها الدنيا بهجة، ويعينها، ويسعى في حاجتها، ويدعو لها بعد موتها فيستمر لها عمل صالح وهي في قبرها؛ ولكنها أماني ولات ساعة مندم!.

وتفقد العانس السكن والراحة، ولا تشعر بالأمان في ظل غياب الزوج والأولاد عن حياتها، وإن كانت المرأة تنعم بالراحة والطمأنينة في بيت والديها، مكفولة معززة، وهي بهذا لا تخشى العنوسة؛ فإنها قد تنسى أنه عما قريب ستنزل بأحبابها سنة الله في خلقه فيذهبون ويتركونها، عند ذلك تقع في منن بعض أقاربها من إخوة أو أعمام ونحوهم، وربما قصروا في حقها وأهملوها، وربما لقيت مضايقات من النساء في هذه البيوت، وكانت عندهم كالخادم أو المربية، ولا شك أن لها في هذا أجرًا عند الله تعالى، لكن إذا كانت في بيت زوج؛ فإنه في الغالب يكرمها ويقوم بحقوقها بلا منة ولها في طاعته أجور لا تحصى، أو يكون لديها أولاد تأنس وتسعد بهم ويتسابقون في برها وخدمتها.

وقصصهن في هذا المجال كثيرة، منها: ما تحكيه (فاطمة) ذات السبعة والثلاثين عامًا حيث تقول: اعتقد بعد هذا العمر أنه لن يكون هناك قطار يمر بمحطتي إلا إن كانت (عربة) معيبة أكل عليها الزمان وشرب؛ ولعلها ضريبة أدفعها الآن رغمًا عن أنفي، فقد كنت أرفض الزواج حينما كنت صغيرة بسبب دراستي وأسباب أخرى واهية؛ ظنًا مني أن الحياة تدوم لي في ذلك الرخاء والسعادة، حينما كنت بين والدي ووالدتي والآن بعد أن خطفتهما يد المنون، وعانيت مرارة الاحتياج، وتذمر إخوتي مني ، ومعاملة زوجاهم السيئة، ندمت كل الندم على ما فات من عمري دون أن أكون أسرة أتظلل بها حينما يفجعني الزمن ويكشر عن أنيابه، والآن كل من يتقدم لي إما مريض وينتظر الموت، أو شخص مسن يبحث عمن يخدمه [1].

خامسًا: بعض الآثار الخلقية:

وأشد ما يخاف على المرأة منه من آثار خلقية مدمرة، فقد تنحرف الفتاة عن طريق الجادة في ساعة ضعف إرادها [2]. وعندما تضيق طرق الحلال تتسع طرق الحرام.. الغريزة الجنسية أودعها الله في مخلوقاته وجعلها من أقوى الغرائز بعد غريزة الجوع.. وهذب الإسلام هذه الغريزة عن طريق الزواج المشروع [3] فبه تطفأ نارها،

---

(١) صحيفة الجزيرة العدد (١٠٨٧٦) (١٤٢٣/٤/٢٨هـ) (٣٣).

(٢) طاحون مرجع سابق (١١٢)

(٣) محمد بن علي الهرفي، رقصة الموت: دراسة وتحليل لبعض قضايا المرأة في المجتمع السعودي (الدمام، دار الإصلاح، د. ت) (٧٦).

ويكف النظر عن التطلع إلى الحرام، لكن عندما يضيق المجتمع الخناق على ما أباحه الله له فإنه في الوقت نفسه يفتتح باب ما حـــرم الله عليه [١] ولئن تتزوج المرأة برجل ليس فيه شرط من شروطها غـــير أنه مسلم خير لها من التعرض للحرام وسخط الجبار، والسقوط في مهاوي الرذيلة، وإفساد قلبها ودينها، والتعرض لآفات الأمـــراض الفتاكة والأخطار المدمرة.

برقيات سريعة إلى بعض النساء:

وقفة مع من لا تفكر بالزواج الآن:

أكثر ما تتحجج به المرأة لتأخير الزواج مواصلة التعليم! فهـــل كان الزواج عائقًا أمام مواصلته؟

تقول الدكتورة فريدة عبد الوهاب المشرف، عميدة شـــؤون الطالبات في جامعة الملك فيصـــل: «مـــن العجيـــب أن تنقلـــب الأولويات في تفكير الفتاة المسلمة، فالزواج نصف الدين وليســـت الدراسات.. وهي هدف طيب يمكن للفتاة تحقيقه بعـــد أن تحقـــق الهدف الأهم وهو الزواج.. ومع وجود الإرادة والاستقرار النفسي والاجتماعي في الأسرة تستطيع أن تستكمل دراســـاتها العليـــا.. وكثيرات من الزميلات أكملن الدراسة الجامعيـــة والعليـــا وهـــن متزوجات وأمهات، بل إنني وجدت الطالبة المتزوجة أكثر التزامًـــا وحرصًا واجتهادًا من غير المتزوجة»[٢].

---

(١) المرجع نفسه (١٠٧).

(٢) مجلة حياة العدد (١٩) ذو القعدة (١٤٢٢ هـ) (٢٤) وتورد لنا الصحف =

أيتها الأخت الكريمة: إن تأخيرك الزواج هو استسلام للزمن، ولقد قتل الزمان صويحباتك وهن أحياء، وحرمهن من أحلى متـــع الحياة.

ولقد أكد الباحثون أن "زواج المرأة في سن ما قبل العشـــرين وكثرة الرضاعة الطبيعية وكثرة الإنجاب تقيها من بعض الأمـــراض خصوصًا أمراض الدم والسرطان [١].

وانتهت دراسة إحدى الباحثات في مصر إلى: أن الزواج المبكر يجعل الزوجين أكثر ارتباطًا ببعضهما، وأقرب إلى مســـايرة كـــل طرف للطرف الآخر، بخلاف الزواج بعد الثلاثين فإن كل واحـــد يتمسك برأيه أكثر [٢].

وإن ترك الزواج أو تأخيره من غير ضرورة لـــيس مـــن أمـــر الإسلام، قال الإمام أحمد، رحمه الله: «ليست العزبة من أمر الإسلام في شيء»[٣] وقال شداد بن أوس رضي الله عنه، وقد ذهب بصره: «زوجوني فإن رسول الله أوصاني أن لا ألقى الله أعزبًا[٤] ولتعلمي أنه يحق لك أن تضمني عقد الزواج شرطًا مكتوبًا بمواصلة دراستك،

وبعض الكتب بين الحين والآخر قصصًا مؤثرة مما جناه رفض الزواج بسبب العلم، وتصريحات لهن بالندم بعد فوات الأوان.

(١) العراقي، أسرار الزواج السعيد، مرجع سابق (١١٥).

(٢) العراقي، أسرار في حياة العانسات مرجع سابق (١١٤).

(٣) ابن قدامة، المغني مرجع سابق (٣٤١/٩).

(٤) عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، المصنف، تحقيق عامر الأعظمي (بومباي، الدار السلفية) (١٢٧).

كما أن مواصلة التعليم ليس لها حد، فبإمكانك المواصلة منتسبة وبإمكانك أن تجعلي تعليمك حرًا من خلال وسائل التعليم المتنوعة كالكتاب والشريط ونحوهما، وليست الشهادة شرطًا في التعلم» .

وقفة مع المرأة العاملة:

حرص المرأة على حصولها على عمل، من أسباب عدم تفكيرها بالزواج أساسًا في أوائل شبابها، وعزوفها عن الزواج بمن لا تتوافر فيه شروطها كاملة في أوائل عنوستها؛ فهي لا تشعر بحاجة إلى الرجل لسد حاجة مالية؛ لذلك يكثر بقاؤهن بلا أزواج وهو أمر لو فكرت فيه على المدى البعيد لأدركت على الفور أنها مخطئة في تصوراتها، من ذلك إن الرغبة في الزواج وتكوين أسرة أمر فطري غريزي لدى المرأة أما العمل والدراسة فليسا من الفطرة، وإذا تحققا لها، ولم يتيسر لها الزواج أثر ذلك على نفسيتها وصحتها؛ لأنه نقص منها شيء مفطورة عليها في أصل خلقتها أما إذا لم يتحقق لها العمل ولا الدراسة فلا يؤثر هذا عليها إذا كانت في كنف من تجب عليه نفقتها.

وقفة مع من ترعى غيرها:

على الفتاة أن لا ترفض من يتقدم لخطبتها بحجة أنها ترعى والدين كبيرين أو أحدهما أو مسئولة عن إخوة وأخوات صغيرات أو أبناء وبنات، وإنما صارحي المتقدمين بحالك وأخبريهم أنك تحرصين على تحمل مسئولياتك تجاه أهلك أو أولادك، وأنك تسعدين لو رضي المتقدم إليك بذلك، وشاركك فيه، وأنك

مستعدة للزواج منه إذا قبل بحالك [1]. وارضـي أنـت بـالحلول الوسطى التي قد يمليها الخاطب

وقفة مع المغلوبة على أمرها:

من النساء من ليس لها مشكلة في قبول المتقدم، لكـن وليهـا وقف حجر عثرة في طريق سعادها، فكم من الخطـاب الأكفـاء جعلهم يولون الأدبار، من غير سبب عائد على مصلحة المرأة، فلم يتق الله فيها، و لم يخش وقوفه بين يدي ربه يسأله عما استرعاه إياه، فتعنت في ظلمها ومنعها حقها، وهي مغلوبة على أمرها، محتارة لا تدري ما تفعل!

إلى من هذه حالها أوصيك بما يلي:

١- تجلدي بالصبر، فإنه محمود العاقبة، طيب الثمرة.

٢- أصلح ما بينك وبين ربك.

٣- أكثري من اللجوء إلى الله تعالى، وداومي على دعائه ولا تيأسي وتحري ساعات الإجابة.

٤- استعيني بمن يمكن أن يتفهم مشكلتك ويؤثر على وليك من الأقرباء كإخوتك وأعمامك وأجدادك، وركزي بشكل أكبر على والدتك، وألحي عليها في ذلك، وأطلبي منها أن تعيد الكرة مرة بعد مرة.

٥- أو تحدثي أنت معه وصارحيه في الأمر؛ أو حرري رسالة

---

(1) العويد غير متزوجات ولكن سعيدات مرجع سابق (٢٥).

اسكبي فيها دمعتك، واجعليها تنطق بآهاتك، وابعثي بها إليه وبعد مدة ابعثي له أخرى، وأشعريه أن موقفك قوي، وأن الحق معك.

٦- ابعثي له بشريط سمعي يتكلم عن مشكلتك[١].

٧- إذا كان رفضه تزويجك بسبب طمعه في مرتبك، و لم تنفع معه الوسائل السابقة، فلك أن تصطلحي معه على جزء معين من الراتب يأخذه باستمرار، حتى بعد زواجك.

وقفة مع قضية التعدد:

حب التفرد بالزوج من الأمور الطبيعية لدى المرأة، وهو أمر لا تلام عليه، لكن يجري الكلام عن التعدد هنا باعتباره أحد خيارين لا ثالث لهما: إما التعدد، أو البقاء بلا زوج مع تقدم العمر وما ينجم عن هذا من أضرار.

فلماذا ترفض بعض النساء خيار التعدد مع تجاوزها سن الخامسة والعشرين واتجاهها نحو خطر العنوسة؟

لعل السبب الرئيسي لهذا الرفض هو تصور المرأة فشل هذا الزواج، وأنها ستظل تقاسي العذاب عند ارتباطها برجل متزوج، وإن كان هذا التصور لدى بعض النساء فقد كان لدى إحدى الكاتبات في المجالات الاجتماعية [٢] ودفعها إلى إجراء استبانة على

---

(١) مثل: خطبة فضيلة الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد عن العضل، التي ألقاها يوم الجمعة (١٤٢٣/٦/٢٨هـ) ويمكن الحصول عليها من مكتبة الحرم المكي، وشريط "صرخة فتاة" للشيخ محمد الدوسري.

(٢) هي: ناهد باشطح: http://www.amanjordan.org/studies/ ونشر مقالها في مجلة المجلة العدد (١٠١٧)، ص (٢٠-٢٦).

مجموعة من النساء السعوديات في مدينة جدة، من اللاتي تـــزوجن برجال لديهم زوجات، وكانت أعمار المجموعة من (٢٥ إلى٤٠) عامًا منهن الموظفات وربات البيوت، ومنهن الجامعيات ومنهن دون ذلك والكاتبة تريد أن تحصل على إجابة: (لماذا تقبل المرأة العذاب بزواجها من رجل متزوج)؟

لكنها فوجئت بأن جميع النساء في المجموعة كـــان رأيهـــن في التعدد إيجابيًا، ووصفن الزواج من رجل متزوج بأنــه نعمـــة. وأن القرار بالاقتران بذلك الزوج كان صائبًا سوى امرأة واحدة فقط، قالت: إن التعدد دون التزام بقواعد الإسلام نقمة، وإن زواجها يعد فاشلاً لأسباب ثلاثة هي: عدم وجود العدل، وعدم تحمل الـــزوج لمسئوليات الأسرتين، والأعباء المالية.

إن نتائج هذه الاستبانة تؤكد أن تصورات كثير من النساء عن التعدد بأنه سيئ تصورات ليست صحيحة، ألا وإن إخفاق بعـــض الرجال في تحقيق العدل الواجب عليهم بين زوجاهم لا يعني تعميم هذا على بقية الرجال، ولا تجعل منه إلغاء لشريعة التعدد من قائمة التطبيق لدينا.

ومن أسباب رفض المرأة للتعدد ظنها أن ارتباطها برجل متزوج نوع من الظلم تسوقه إلى زوجته وهذا ظن خاطئ، إذ لو كان فيه ظلم لما شرعه أعدل العادلين ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠] وفي الحديث القدسي يقول الله عز وجل: «**يـــا عبـــادي إني حرمت الظلم على نفسي**»[1] فمن حكم مشروعية التعـــدد: أن

---

(١) جزء من حديث رواه أحمد (٢٠٩١١) ومسلم (٢٥٧٧).

تواسي المرأة اختها المسلمة وترفع وتخفف من معاناها، وهذا هو العدل الإلهي، لا أن تحصل المرأة الواحدة على مقومات السعادة في الدنيا وتحرم لمجرد حب التفرد بالزوج، نساء كثيرات منها بسبب عزوف الخطاب عنهن لكبر وغيره، والله تعالى يقول في مدح نساء كثيرات منها بسبب عزوف الخطاب عنهن لكبر وغيره، والله تعالى يقول في مدح الأنصار: ﴿**يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [الحشر: ٩] ويقول الرسول الكريم ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[١] فهل تحب المرأة المتفردة بالزوج لأختها ما تحبه لنفسها من حصول الاستقرار والرعاية الزوجية وإنجاب الأولاد؟

وإن كانت الغيرة تغلبك، فتثبطك بعد عزم، وتردك بعد إقدام فإن الغيرة من الخصال التي لا تؤاخذ عليها المرأة ما دام لم يحصل بسببها تعد على أحد، لكن ينبغي على المرأة العاقلة أن لا تدع الغيرة تؤثر على مستقبلها، فترفض المتزوج بل لتعالج غيرها بالدعاء، فإنه أنجع علاج، فقد عالج به النبي ﷺ أم سلمة رضي الله عنها، لما خطبها فاعتذرتت بأها تغار من نسائه؛ فأذهب الله ما كانت تجد[٢] ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ [غافر: ٦٠].

وقفة خاصة مع المطلقة الأرملة:

كثير من الفتيات عندما يطلقن لا يقبلن المتقدمين لهن فور

---

(١) رواه البخاري (١٣) ومسلم (٤٥).
(٢) رواه أحمد (٢٦١٢٩) ومسلم (٩١٨).

انتهاء العدة، بل يرغبن في البقاء بضع سنين، يراجعن فيها بعض الأمور ويفتشن عن بعض الأخطاء والأسباب التي أبطلت الزواج السابق، ويخشين من طلاق مرة أخرى فيهربن إلى سجن السنين ما شاء الله أن يهربن، يطلبن تسلية مصيبتهن بل إن من المطلقات والأرامل من يكون لديها ولد أو أكثر، ويكون لديها مصدر رزق، فتعرض عن التفكير في الزواج كليًا ويغيب عنها أن هؤلاء الأولاد عرضة لأقدار الله، وقد تفقدهم بعد تجاوز سن الإنجاب. أو بعد أن زهد فيها الخطاب، فتكون مصيبتها فيهم عظيمة، وليس لديها من تسلي مصيبتها ببقائه بعد الله عز وجل، والنصيحة التي تقدم هنا: أن الزواج الذي ينتهي بالطلاق لا يعد فشلاً في حق المرأة؛ بل هو تجربة ودرس، والحياة تجارب ودروس، وإن هذه الدراسة تؤكد أن الزمن عامل حاسم في مستقبل المرأة، كلما مضت سنة قل معها فرص المرأة في مستقبل مشرق؛ إذن ما دمت في سن يسمح لك بالزواج فلا تترددي فور انتهاء عدتك بقبول خاطب ليس به عيب شرعي، ولا يردك عن ذلك أو يعيقك أمر، وهذه النصيحة تقدم للأرملة أيضًا.

وفات القطار!

أيتها الفتاة: الرسالة التالية أعدت لا لتوجه إليك قبل موعدها بخمس عشرة سنة أو عشر أو خمس، لأني أرجو عندما يحين وقتها أن تلقى في سلة مهملات الأوراق ولن تكوني بحاجة إليها؛ لأن حسن تفكيرك ونفاذ بصيرتك بعد توفيق الله قد جعلك في مصاف المتزوجات، داخل بيوت سعيدات، وبين أبناء مبهجين وبنات، و لم

تهمك نظرات الناس وقناعتهم وأقاويلهم فيما اخترت من أمر أباحه الله لك ورأيت فيه مصلحتك فتخيلت عن كثير من الشروط والمطالب، أو قدمت التنازلات.

فاقرئي من باب الحذر والاعتبار، الرسالة التالية [١] التي لن ترسل إليك إن شاء الله.

إلى أختي التي دخلت عالم العنوسة:

سلام عليك ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فاسأل الله تعالى أن يكون هو أنيسك، وكتابه جليسك، والصبر والرضا بما كتب حليفك.

خمسة وثلاثون خريفًا من أوراق عمرك مضت، ولن يقف الزمن ولن يعود إلى الوراء، مرت الأيام كسحابة صيف أبت أن تقف أو تستأذن في الرحيل، وها هي تركض مسرعة، ورحل الماضي بكل ما فيه من أحلام وردية وبسمات عذبة نقية، وخيالات عبقة على أبوابه، أو حتى الرؤية عبر منافذه، لن يأذن لك بقطف زهرة من أزاهيره، أو الخوض في نهر ذكرياته وأحلامه.

أختي: أين شبابك؟ أين وجهك القمري الذي كان يشع دفئًا، ينثر عطرًا في كل الأرجاء؟ أين عيناك النجلاوان تشعان سحرًا وشوقًا؟

---

(١) مستفاد بتعديلات كثيرة من: مصطفى يوسف المتولي إلى ذات الأحلام الوردية المجلة العربية (جمادي الأولى ١٤١٦ هـ) (١٢٥).

شبابك قد اندثر وأصبح بقايا، وها هما عيناك تكاد تحيط بهما هالات سوداء تعلن قدوم الخريف، وشعرك الذي كنت تتباهين به، بدأ يجعلك تلاحقين الصبغات توارين رايات المشيب.

أختي: هل تحققت رسوماتك وخيالاتك في فتى أحلامك؟ عينان سوداوان شعر كالليل البهيم، ولسان يتفوه بحروف ليست في أبجديتنا، يجيد كل اللغات، يردد الغزل من الأبيات، يسكن في مدينة على شاطئ الوادي، وآخر في المدينة الجديدة، و الصيف في المدينة الساحلية، والشتاء في المناطق الدفيئة، سيارات وعقارات، مجوهرات خدم استقبالات وداعات جياد، أرقام وحسابات، أثاث فاخر، مهر كاسر، أفراح باتساع، وأشياء أخرى لم ولن تتحقق، ها أنت تقفين حافية على أرض الواقع الذي لم يرحم شبابك وضاعت أيامك.

أختي: تقدم الكثيرون جدًا لخطبتك، ولكن للأسف لم يعجبك منهم، بعضهم رفض؛ لأن ملامحه وقسماته لم تكن سينمائية، ومنهم من رفض؛ لأنه لم يمتلك مقومات أحلامك وآمالك، ربما رفض آخرهم، لأنه سعيش بعد زواجه مع أمه المريضة، وعشرات الشباب لم يجرؤ واحد منهم على خطبتك؛ خوفًا من الرسوب في مواد رغباتك وطلباتك، بعدوا عنك، هربوا منك، وفات القطار، وكان آخر قطار، وحتى لو جاد عليك المولى بميعاد آخر فلن تكوني يومها مخيرة في الصعود أو الوقوف.

ها أنت تتمتمين تتأوهين، تتحسرين، تنظرين وتفكرين، ترسلين الدمع على الخدين، تقولين بعد أن انصرف عن بابك كل

خطيب:

ربما يأتي إذا صـــليت في جـــنح المســـاء
ربمـــا يـــأتي إذا صـــعّدت لله الـــدعاء
ربما يأتي إذا رجرجت في عـــيني دمعـــة
أو إذا أشعلت في ليل الحزانى ضوء شمعة
آه! كم يشتاق بأبي نقرات مـــن يديـــه
وجداري الساهم الظمآن كم يهفو إليه
خلف بأبي ألف حلم يخنق الوهم صداها
ألف غصن يحرق الجدب براعيم صـــباها
وسريري كم على صدر سريري بت عبرى
أحضن اللاشيء أمتص عذاباتي حـــيرى
أمضغ الآهات في صمت ضرير لا يـــبين
مثل طير راسف في القيد مجروح الأنـــين
فارسي الموعود يا حلمي ويا فجري الظمي
أذرعي تدعوك من خلف الضباب المعتم
فارسي: ليل رفيقاتي مراح وصـــداح [1]
وأنا ليلـــي ريـــاح وجـــراح ونـــواح

([1]) الصداح: رفع الصوت بغناء ونحوه ابن منظور مرجع سابق (٢/٥٠٨).

وشبابي وردة عــذراء نامــت مقلتاهــا
فوق حلم هارب الأطياف يمتص شذاها
كم على صدر ظنوني البيض نقلت خطايــا
كم زرعت الغيب والمجهول بحثًا عن فتايــا
كم تراءى لي وكم قبل في الصمت جبينــه
وحنين كم مشى في التيه يستجدي حنينه
الفراغ الجهم من حولي وأحلامي الشهيدة
وبقايا وردة في حجرتي ماتت وحيــدة
غير أني خلف قضباني سأدعوه طــويلا
ربما صادفت فيه فارسًا شــهمًا نبــيلاً
ربما ينسل من خلف مجاهيــل الصــدى
ليدق الباب دقات رقيقات الصــدى[1]

أختي: كفاك من هذا. كوني مؤمنة بأن المقدر كائن؛ فلمــاذا التضجر؟ ولماذا الشكوى؟ لماذا لا تسليمن أمــرك إلى الله تعــالى، وتريحين نفسك من مشاعر الكآبة والتشاؤم والسوداوية؟ ألا يريحك ويطمئن نفسك، ويطيب خاطرك قول الرسول ﷺ: «**عجبًا لأمــر المؤمن إن أمره كله خير، ولــيس ذاك لأحــد إلا للمــؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان**

(1) الأبيات باختصار للشاعر، محمد أحمد العزب، خواطر عانس، مجلة الأزهر (جمادي الأولى ١٣٨٢ هـــ) (٣٥١، ٣٥٢).

خيرًا له»[١].

وفي الختام أوصيك بتقوى الله تعالى وكثرة الدعاء والالتجاء إلى المولى سبحانه وأن يكون لك من كل عبادة نصيب ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته:

بعد أن قرأت هذه الرسالة قراءة المعتبرة الحذرة أن يقدم بها العمر وينصرف عنها الخطاب فيكون حالك لا قدر الله حال من تعنيها هذه الرسالة، فاعلمي أن الزمن لا يرحم، وأنك إن لم تغتنمي فرصة قبل فوات تكرارها فإنه ينساك بلا رحمة، وإن ندمت على ما فات من العمر وما رددت من الخطاب، فإن دموع الندم لا تجدي نفعًا فلن يرجع الزمن إلى الوراء طرفة عين؛ فالسعيد من وعظ بغيره، والشقي من وعظ بنفسه، ووعظ به الناس.

عليك أن تقدم لك من ترضين دينه، وخلقه أن تظفري به، وهذا مما حث عليه النبي ﷺ عندما وجه حديثه إلى الرجال وهو معنى يصلح للمرأة أيضًا حيث قال: «**تنكح المرأة لأربع لمالها لحسبها، ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك**»[٢].

ولا يخفي على الفتاة أن الوردة الجميلة الفواحة لها زمن إذا

---

(١) العويد غير متزوجات ولكن سعيدات، مرجع سابق (٤٥).
(٢) رواه البخاري (٥٠٩٠) ومسلم (١٤٦٦).

وصلته أخذت في الذبول، وأن الورد لا ينظر إلى الوردة الذابلة.

اعلمي وفقك الله أن رد الخاطب الكفء خطر عظيم فقد قال ﷺ: «**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد**» قالوا: يا رسول الله: وإن كان فيه؟ قال: «**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه**» ثلاث مرات[1] وفي رواية: «**ألا تفعلوا تكن تفنة في الأرض وفساد عريض**»[2] فأملي في الحديث قوله (فأنكحوه) وهذا أمر من النبي ﷺ وقد قال الله تعالى محذرًا الذين يخالفون أمر نبيه ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [النور: ٦٣] فلتحذر الفتاة ووليها قبل أن يردا الخاطب الكفء لأي سبب من الأسباب أن يكون هذا الرد سببًا في فتنة تصيب الفتاة أو عذاب يصيبها، فقد تكون الفتنة انحرافها وضلالها، وقد يكون العذاب عنوستها وأمراضًا تصيبها حماها الله وأبعد عنها العذاب والشرور.

عودي بعد أيام إلى قراءة هذا الدراسة مرة أخرى وثالثة حتى تقتنعي بفكرها؛ فإنها ناصحة لك، محبة لأن تنالي خيري الدنيا والآخرة؛ فإنك ستواجهين صراعًا بين عاطفتك وعقلك بين الخيال

---

(١) رواه الترمذي وقال: حسن غريب (١٠٨٥) وحسنه الألباني إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ط٢ بيروت، المكتب الإسلامي ١٤٠٥ هـ (٦/٢٢٦) (١٨٦٨).

(٢) رواه الترمذي (١٠٨٤) وابن ماجه (١٩٦٧) وحسنه الألباني في المرجع نفسه في الحاشية السابقة وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة مرجع سابق (٣/٢٠) (١٠٢٢).

والواقع، بين طموحاتك وواقع لا يساعد على تحققها بين عقل حليم وبين شموخ نفس وتعاليها وإبائها أن تتنازل كثيرًا عن شروطها وأحلامها.

توكلي على إلهك، وخالقك واعزمي وأحسني الظن بربك فلن يضيعك.

أسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يجعل ما يكتبه لك ويقدره عليك من صفات في شريك عمرك خيرًا مما تظنين وتريدين، وأن يسبغ عليك لباس الصحة، ويملأ قلبك سعادة وقناعة، وأن يوفقك لخيري الدنيا والآخرة.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

فهرس العناوين

